المجمع 5 (2011/1432)، 105-128

النص القرآني... لسان عربي مبين

عماد سعد فايز أبو حسن

تلخيص :

يحدد هذا المقال رقعة النقاش البحثي والعلمي في دائرة القول بعربية النص القرآني وقرشيته، نافيًا أي تطلع للزعم بخلاف ذلك، ومستعينًا على تحقيق ذلك بجمله من الأدلة والبيانات، وبالعديد من الاستدلالات التاريخية والعقلية التي تؤكد مثل هذا التوجه، وترسخ- بالتالي – أحقية هذا الوصف دون سواه... وكل ما قيل خلاف ذلك لا يعدو كونه ألفاظًا محدودة وردت بفعل تداخل الشعوب وتوارد اللغات وعوامل التأثر والتأثير، مع الإشارة إلى أهمية البحث في أصول هذه الألفاظ وصولاً إلى ما استقرت عليه زمن التنزيل، وما آلت إليه ضمن الاستخدام القرآني الذي منحها - بالتأكيد - بعدًا جديدًا ومفهوما متطورًا وتصورًا خاصًا ومؤثرًا...

- **مقدمة :**

قد يكون من الممكن طرح صيغة العنوان بصورة السؤال الآتي: ما طبيعة النص القرآني؟ وما المراد بقوله تعالى: [**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**] {الشعراء:195}.

هنا يمكن أن تتبين وجهتي نظر للتفسير؛ إحداهما عامة توسع دائرة المراد والمقصود من هذا اللسان، فتجعله في عموم لسان العرب، والثانية خاصة تضيق دائرة القول فيه، فتجعله في خاصة العرب، ولا أراهم يجاوزون قريشًا... فتبرز، في سياق وجهة النظر الأولى، مقولة: "عربية النص القرآني" وفي السياق المقابل تبرز مقولة: "قرشية النص القرآني"... فيظهر، للوهلة الأولى، أن ثمة تعارضا بينهما، لكنّ حقيقة الأمر خلاف ذلك. وإثبات هذه الحقيقة هو غرض هذا البحث وهدفه الأول الذي لا يمكن بلوغه دون التحقق من عربيته أولاً، والوثوق بها...

وعليه، فقد أمكن تناول هذا الموضع ضمن هذين المحورين:

1- عربية النص القرآني.

2- قرشية النص القرآني.

- **أولاً: "عربية النص القرآني":**

يمكن أن يُطرح هذا العنوان بصورة السؤال الآتي: ما طبيعة النص القرآني؟ وما معنى قوله تعالى: **[بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ]** [1]؟

في هذا السياق تُطرح مقولتان:

المقولة الأولى: إن النص القرآني عربي خالص...

والمقولة الثانية: إن النص القرآني ليس عربيًا خالصًا... وإنما فيه ما ليس من كلام العرب، وهو ما اصطلحوا على تسميته بالأعجمي، أو المعرّب، أو الدخيل... وفيه صنّف العلامة السيوطي (911هـ) كتابًا أسماه "المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب"...[2]

والجمهور، أو الأكثرون من القدماء، من أصحاب المقولة الأولى، وأنصارها، وعلى رأسهم، وفي مقدمتهم، الإمام الشافعي المتوفى سنة (204هـ) [3] والعلامة بن جرير الطبري المتوفى سنة

---

[1] الشعراء: (195).

[2] يُنظر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 66/2.

[3] هو الإمام أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن عد المطلب بن عبد مناف، القرشي المطلبي الشافعي. أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في "غزة" بفلسطين سنة (150هـ) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة 199هـ، وقد أفتى وهو ابن عشرين سنة، وكان أول من تكلم بأصول الفقه... وكان ذكيا مفرطا في الذكاء، وشاعرا، وأديبا، وفقيها، ومحدثا... وله تصانيف كثيرة في الفقه والأصول، والحديث، والأدب، وقد توفي بمصر سنة (204هـ). رحمه الله ورضي عنه. تنظر ترجمته في ابن خلكان؛ أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر المتوفى سنة 681هـ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 4/ 163-169، رقم الترجمة (558). والزركلي، **الأعلام**، 26/6-27. وابن حجر العسقلاني؛ أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر المتوفى سنة 852هـ، **تهذيب التهذيب**، مطبعة

(310هـ) [4]. وأبو عبيدة المتوفى سنة (210هـ) والقاضي أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة (403هـ) وابن فارس المتوفى سنة (816هـ) وغيرهم...[5]

وقد استدلوا بقوله تعالى: **[إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]** [6]، وقوله: **[بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ]**[7]، وقوله: **[وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ]**...[8]

وشدّد الشافعي النكير على القائلين بوجود الأعجمي في القرآن، مبينًا أن من "جماع علم كتاب الله، العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب"... [9] "والقرآن يدل على أنْ ليس من كتاب الله شيء إلاّ بلسان العرب"...[10] "وأن لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غير نبي"... [11]

مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر أباد الدكن، ط(1)، 1326هـ دار صادر، بيروت، 9/25-31.

[4] هو أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، الإمام المؤرخ المفسر، له مصنفات عديدة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ، كان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحدًا... وقد ولد سنة (224هـ)، بآمل طبرستان، واستوطن بغداد، وبها توفي سنة 310هـ تنظر ترجمته في ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4/191-192، رقم الترجمة (570). والزركلي، **الأعلام**، 6/69.

[5] ينظر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 2/66.

[6] الزُّخرف:(3) وقد وصف غير مرة بأنه قرآن عربي، كما في: (يوسف :2، وطه: 113، والزمر: 28، وفصلت: 3، والشورى: 7).

[7] الشعراء: (195).

[8] فصلت: (44).

[9] ينظر الشافعي؛ محمد بن إدريس المتوفى سنة 204هـ، **الرسالة**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ص40.

[10] **السابق**، ص42.

[11] **السابق**، ص42.

ومع ذلك يحاول الشافعي التماس العذر لمن خالف هذا الرأي، فيقول: "ولعل من قال إن في القرآن غير لسان العرب، وقُبل ذلك منه، ذهب إلى أن من القرآن خاصًا يجهل بعضه بعضُ العرب"...[12]

ويعلل وجود بعض الألفاظ التي يُظن أنها ليست من لسان العرب، بسببين هما: التعلم، والتوارد، أو التوافق؛ أي توافق اللغات في النطق ببعض الألفاظ – وهو ما أفرد له السيوطي بابًا خاصاً في كتابه المزهر[13] - يقول الشافعي: " فإن قال قائل: فقد نجد من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب، فذلك يحتمل ما وصفت من تعلمه منهم، فإن لم يكن من تعلمه منهم، فلا يوجد ينطق إلاّ بالقليل منه، ومَنْ نطق بقليل منهم، فهو تبع للعرب فيه، ولا ننكر إذا كان اللفظ قبل تعلمها، أو نطق به موضوعًا، أن يوافق لسانُ العجم، أو بعضها قليلاً من لسان العرب، كما يتفق القليل من ألسنة العجم المتباينة في أكثر كلامها مع تنائي ديارها، واختلاف لسانها، وبُعد الأواصر بينها وبين مَنْ وافقت بعض لسانه منها"...[14]

ويحتج لذلك بكتاب الله، في غير آية منه:

1- **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ]** [15]

2- **[بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ]** [16]

3- **[وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا]** [17]

---

[12] **السابق**، ص42.

[13] السيوطي، **المزهر**، 266/1.

[14] الشافعي، **الرسالة**، ص44-45.

[15] إبراهيم:(4).

[16] الشعراء:(195).

[17] الرعد:(37).

4- **[وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا]** [18]

5- **[إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]** [19]

6- **[قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ]** [20]

قال الشافعي: فأقام حجته بأنه كتاب عربي في كل آية ذكرناها... ثم أكدّ ذلك بأن نفى عنه – جل ثناؤه – كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه: [21]

1- **[وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنهمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ]** [22]...

2- **[وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...]** [23]...

وقال أبو عبيدة: " إنما أُنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن **[كِذَّابًا]** [24] بالنبطية، فقد أكبر القول "... [25]

---

[18] الشُّورى:(7).

[19] الزُّخرف:(3).

[20] الزُّمر:(28).

[21] الشافعي، **الرسالة**، ص47.

[22] النحل:(103).

[23] فصِّلت:(44).

[24] النبأ: (28، 35).

[25] يُنظر السيوطي، **الإتقان**، 66/2. والمزهر: 266/1. والجواليقي؛ أبو منصور، موهوب بن أحمد ابن محمد بن الخضر بن الحسن المتوفى سنة 540هـ، **المعرّب في كلام العرب**، تحقيق: د. عبد الوهاب عزام، دار الكتب، القاهرة، 1969م، ص52.

ويعلل رأيه هذا بتوافق اللغات، كما تقدم عند الشافعي... يقول أبو عبيدة: " وقد يوافق اللفظ اللفظ، ويقاربه، ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية، والآخر بالفارسية أو غيرها... " [26]، ومثّل لذلك بالإستبرق؛ وهو الغليظ من الديباج، وهو " استبره " بالفارسية وبـ (المِسْح) الذي يجعل فيه أصحاب الطعام البر، ويسميه أهل مكة (البلآس) وهو بالفارسية (بَلاس) فأمالوها، وأعربوها، فقاربت الفارسية العربية في اللفظ "... [27]

ويستطرد بذكر بعض الكلمات التي وقع فيها التوافق مع لغات غير العرب... ثم يعقب عليها بقوله: " وذلك كله من لغات العرب، وإن وافقه في لفظه ومعناه شيء من غير لغاتهم"... [28]

وذكر ابن فارس أن الأمر كما قال أبو عبيدة...[29] معقبًا على ذلك بالقول بأنه لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى لغات لا يعرفونها... [30]

ورأى الطبري في توارد اللغات سببًا مقبولاً في وقوع بعض الألفاظ التي يُظن أنها ليست من كلام العرب، يقول الطبري: " فأورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية، أو الحبشية، أو النبطية، أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد "... [31]

---

[26] يُنظر السيوطي، **المزهر:** 266/1.

[27] **السابق**، 266/1. وابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص59.

[28] السيوطي، **المزهر:** 266/1.

[29] **السابق**، 266/1. وابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص59.

[30] يُنظر السيوطي، **الإتقان**، 66/2. وابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص59 (تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1963م).

[31] يُنظر السيوطي، **الإتقان**، 66/2. والطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير المتوفى سنة 310هـ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المشهور بتفسير الطبري)**. حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، وراجعه وخرّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1374هـ، 16/1 (مقدمة التفسير).

وإلى هذا الرأي مال الإمام فخر الدين الرازي في نحو قوله: " ما وقع في القرآن من نحو المشكاة، والقسطاس، والإستبرق، والسجيل، لا نسلم أنها غير عربية، بل غايته أن وضع العرب فيها وافق لغة أُخرى، كالصابون، والتنور، فإن اللغات فيها متفقة ". [32]

وفي الصحاح أورد صاحبه ما يؤكد ميله إلى القول بتوافق اللغات، وتأكيده له، يقول: " الدشت: الصحراء، قال الشاعر: *سود نعاجٍ كنعاج الدشت* وهو فارسي، أو اتفاق وقع بين اللغتين ".[33]

وابن جني يقول بالاشتراك والتوافق والاتساع، وهو ما نفهمه من قوله: "وإنما هو وفاق وقع، ولو كان منقولاً إلى اللغة العربية من غيرها لوجب أن يكون أيضًا وفاقًا بين جميع اللغات غيرها، ومعلوم سعة اللغات غير العربية، فإن جاز أن يكون مشتركًا في جميع ما عدا العربية، جاز أيضًا أن يكون وفاقًا فيها... وقد يجوز أيضًا أن يكون وفاقًا وقع بين لغتين أو ثلاث أو نحو ذلك، ثم انتشر بالنقل في جميعها". [34]

وأفرد الثعالبي في كتابه "فقه اللغة"، فصلاً في أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد؛ كالتنور والخمير، والزمان، والدينار والدرهم...[35]

---

[32] السيوطي، **المزهر**: 267/1.

[33] ينظر الجوهري 393هـ، **الصحاح**، 249/1، مادة (دشت). والسيوطي، **المزهر**: 267/1.

والجوهري: هو إسماعيل بن حماد، أبو نصر، كان أول من حاول الطيران، ومات في سبيله، وهو لغوي بارع، وله مصنفات عديدة أشهرها " الصحاح ". وأصله من "فاراب"، ودخل العراق صغيرًا، وسافر إلى الحجاز، ثم عاد إلى "خراسان"، وأقام في "نيسابور"، وتوفي فيها سنة 393هـ إثر محاولته الطيران. تنظر ترجمته في الزركلي، **الأعلام**، 313/1.

[34] يُنظر السيوطي، **المزهر**: 267/1-268.

[35] **السابق**، 268/1. والثعالبي؛ الإمام أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة 429هـ، **كتاب فقه اللغة وسر العربية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص314-315. وطبعة البابي الحلبي، 1357هـ: ص315. **والثعالبي:** هو أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ولد في نيسابور سنة 350هـ، من أئمة اللغة والأدب، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب

ومع أن فكرة توافق اللغات احتمال استبعده فقه اللغة الحديث، إلا أن بعض المحدثين ظلَّ متشبثًا بها لتعليل ورود ما رآه غير عربي في كتاب تنزل بلسان عربي مبين.... لعل الأستاذ المرحوم أحمد محمد شاكر واحد من بين هؤلاء، حين راح يؤكد مذهبه هذا في مقدمة نشره لكتاب " المعرب " للجواليقي، يقول: " فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ولا يعرف مصدر اشتقاقها، لعله من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده، ثم تزيد بعض العلماء المتأخرين وتكاثروا في ادعاء العجمة لألفاظ من حروف القرآن. [36]

وينقل لنا السيوطي في "الإتقان" رأيًا، أو تعليلاً يقوم على أساس المخالطة، والتي بفضلها كان التأثر بلغات الأمم الأخرى التي خالطتها العرب، فأخذت من لغاتهم ألفاظًا غيّرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربي الفصيح، ووقع بها البيان، ونزل بها القرآن....[37] . أما أصحاب المقولة الثانية، والذين قالوا بإمكان وقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن، فقد اعتمدوا على ما نقل عن ابن عباس، ومجاهد[38]، وابن جبير[39]، وعكرمة[40]، وعطاء[41]، وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنها بلغات

وعملها، صنّف العديد من الكتب، وبرع في سائر الفنون، وتوفي سنة 429هـ تُنظر ترجمته في: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3/178- 180، رقم الترجمة (38). والزركلي، **الأعلام**، 4/163-164.

[36] ينظر الجواليقي، **المعرّب**، (مقدمة الكتاب)، ص13 – 14. ود. حلمي خليل، **المولّد في العربية**، ط(2)، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص118.

[37] يُنظر السيوطي، **الإتقان**، 2 / 66.

[38] هو أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، مجاهد بن جبر، تابعي، مفسر، أحد الأعلام الأثبات، أخذ التفسير عن ابن عباس، تنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة، وقد ولد في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ، وتوفي بمكة – وهو ساجد – سنة 104 هـ، وقيل سنة 103هـ وقد اعتمد على تفسيره كل من الشافعي والبخاري، مما يعكس ثقته وعدالته. تنظر ترجمته في: الزركلي، **الأعلام**، 5/ 278. والدكتور محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، دار الكتب الحديثة، مصر، ط(2)، 1976م، 1 / 104 – 107.

[39] هو التابعي أبو عبد الله – وقيل أبو محمد – سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، الكوفي، حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، كان أسود، أخذ العلم عن ابن عباس، وعبد الله ابن عمر، وكان من كبار التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه. ولد سنة 45 هـ، وقتله الحجاج صبرًا

العجم، كـ"طه، واليم، والطور، والربانيين"، قالوا إنها بالسريانية، "والصراط، والقسطاس، والفردوس"، بالرومية، "ومشكاة، وكفلين"، حبشية، و "هيت لك" حورانية، وهذا قول أهل العلم من الفقهاء... [42]

وقد أجابوا عن قوله تعالى: [**قُرْآنًا عَرَبِيًّا**][43]، بأنها الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيًا، وعن قوله تعالى: [**أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**] [44] بأن المعنى من السياق: "أكلام أعجمي

سنة 95 هـ تنظر ترجمته في: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 371/2–374، رقم الترجمة (261). وابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 11/4- 14. والزركلي، **الأعلام**، 93/3. والدكتور الذهبي، **التفسير والمفسرون**، 102/1– 103.

[40] هو التابعي عكرمة البربري، مولى ابن عباس (رضي الله عنهما)، أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن الحر العنبري، فوهبه لابن عباس (رضي الله عنهما) حين ولي البصرة لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فاجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنة، وسماه بأسماء العرب، فكان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه أكثر من سبعين تابعيا، ولد سنة (25هـ) وتوفي بالمدينة سنة (105هـ). تنظر ترجمته في ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 265/3-266. رقم الترجمة (421). وابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 263/7-273. والزركلي، **الأعلام**، 244/4. والدكتور الذهبي، **التفسير والمفسرون**، 107/1-112.

[41] هو التابعي الجليل، أبو محمد، عطاء بن أبي رباح، واسمه أسلم القرشي، بالولاء، وقيل اسمه سالم، وهو ابن صفوان مولى بني فهر أو مذحج المكي، ولد سنة 27هـ في " جَنَد " باليمن، ونشأ بمكة، فكان مفتي أهلها، ومحدثهم، وتوفي فيها سنة 114هـ، وكان – يرحمه الله – أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج، ثم عمي، وهو من أجلاء الفقهاء، وتابعي مكة وزهادها، روى عن ابن عباس، وابن عمر،وابن عمرو بن العاص وغيرهم، فقيه، عالم، ثقة، كثير الحديث. تنظر ترجمة في ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 261/3-263، رقم الترجمة (419). وابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 199/7-203. والزركلي، **الأعلام**، 4/ 235. والدكتور الذهبي، **التفسير والمفسرون**، 1/ 113-114.

[42] يُنظر السيوطي، **المزهر**: 268/1.

[43] يوسف:(2).

[44] فصِّلت:(44).

ومخاطب عربي "، واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو (إبراهيم) للعلمية والعجمة، ورُدّ هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف، فالكلام في غيرها موجّه بأنه إذا اتفق على دخول الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس. وقد أخرج ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل أنه قال: " في القرآن من كل لسان "، وروي مثله عن سعيد بن جبير، ووهب بن منبّه... [45]

وقد حاول أبو عبيد القاسم بن سلام الأزدي المتوفى سنة (224هـ) التوفيق بين الطرفين، وبين القولين، يقول:"والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعًا؛ وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية، كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق". [46]

---

[45] ينُظر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 67/2. والدكتور عبد الجليل عبد الرحيم، **لغة القرآن الكريم**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان / الأردن، ط (1)، 1981م، ص208 – وما بعدها و**(وهب بن منّبه)**: هو أبو عبد الله اليماني، الصنعاني، الأبناوي، الذماري، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب السابقة، وعالم بالأساطير والإسرائيليات، ويُعَدُّ في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين ملكوا اليمن، وأمه من حمير، ولد بصنعاء سنة (34هـ)، وبها مات سنة 114هـ، على الأرجح، ويقال إنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة. تنظر ترجمته في ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ،6/35-36. رقم الترجمة= (772). وابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 11/166-168. والزركلي،**الأعلام**،8/ 125-126.

[46] ينُظر السيوطي، **المزهر**، 269/1. **والإتقان**، 69/2. **وأبو عبيد**: هو القاسم بن سلاّم الهروي الأزدي، الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، الفقيه القاضي صاحب التصانيف، اشتغل بالحديث، والأدب والفقه والعربية والأخبار، كان فاضلاً في دينه وعلمه، ربانيًا متفننًا في أصناف علوم الإسلام من القراءات والفقه والعربية والأخبار، حسن الرواية صحيح النقل، ولد بـ " هراة " سنة 157هـ، وتعلّم بها، ورحل إلى بغداد وولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، كما رحل إلى مصر، وحج فتوفي بمكة سنة 224هـ وقيل بالمدينة بعد الفراغ من الحج... تنظر ترجمته في ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4/ 60-63. رقم الترجمة (534). وابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 8/315-318. والزركلي، **الأعلام**، 5/ 176.

ووافقه على هذا القول ابن فارس ونقله في كتابه[47] ومال إليه الجواليقي، وابن الجوزي[48]، وآخرون... يقول الجواليقي:"إن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها، فعرّبته، فصار عربيًا بتعريبها إياه، فهي عربيه باعتبار الحال، عجميه باعتبار الأصل... " [49]

ويبدو أن هذا التعليل يقوم على مبدأ "الاقتراض اللغوي" الذي يقوم على أساس إدراك حقيقة الصلة بين اللغات، واقتراضها بعضها من بعض...

ويسوق السيوطي سرداً بالألفاظ الأعجمية الواردة في القرآن الكريم، مرتبة على حروف المعجم، ويقول إنها زادت عن مائة لفظة... [50]

---

[47] يُنظر ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص61.

[48] يُنظر السيوطي، **الإتقان**، 69/2. **وابن الجوزي**: هو أبو الفرج، عبد الرحمن بن أبي الحسن علي ابن محمد بن علي بن عبيد الله القرشي، البغدادي، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وهو فقيه حنبلي، وواعظ لُقّب بجمال الدين الحافظ، كان علاّمة عصره، وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ والجوزي نسبة إلى "فرضة الجوْز"، أو " مشرعة الجوز " من محال بغداد. وله مصنفات عديدة؛ في التفسير والحديث، والتاريخ.... كما له أشعار كثيرة، ولد في بغداد سنة 508 هـ، وبها توفي سنة 597هـ تنظر ترجمة في ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 140/3 – 142، رقم الترجمة (370). والزركلي، **الأعلام**، 316/3 – 317.

[49] ينظر الجواليقي، **المعرّب**، ص53. والسيوطي، **المزهر**، 269/1. وابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص61. **والجواليقي:** هو أبو منصور، موهوب بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن الخضر ابن الحسن البغدادي الأديب اللغوي؛ كان إمامًا في فنون الأدب، ومن مفاخر بغداد، قرأ الأدب على الخطيب= التبريزي، وتتلمذ له حتى برع في فنه، وهو متدين، ثقة، غزير الفضل، وافر العقل، مليح الخط، كثير الضبط، له العديد من التصانيف. والجواليقي نسبة إلى عمل الجواليق (وهي الأوعية) وبيعها، وكانت ولادته في بغداد سنة 466هـ ووفاته فيها سنة 540هـ، وقيل 539هـ تنظر ترجمته في: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 342/5 – 344، رقم الترجمة (751). والزركلي، **الأعلام**، 335/7.

[50] يُنظر السيوطي، **الإتقان**، 69/2- 80.

أما اللغويون المحدثون، فعلى الرغم من تباين أرائهم واختلافها، فلا يبدو أنها قد خرجت عما استقر لدى القدماء؛ فقد شايعوهم في جُلّ ما ذهبوا إليه؛ اتفقوا به، أو اختلفوا عليه، فمنهم من أنكر – مع المنكرين – وقوع أي لفظ غير عربي في القرآن؛ كالشيخ أحمد محمد شاكر الذي راح يعلل ورود بعض الألفاظ التي يُظن أنها ليست من لسان العرب، بأنها مما فُقد أصله، وبقي الحرف وحده...[51] ويرد عليه الدكتور عبد الصبور شاهين بأنه– أي الشيخ شاكر – ما كان ليذهب مثل هذا المذهب لولا أنه كان قد اكتفى بالاعتماد على المراجع القديمة التي كُتبت قبل أن تُعرف الفصائل اللغوية... [52]

ويرى شاهين أن الألفاظ القرآنية التي قيل بأعجميتها، تقع في أربع مجموعات: [53]

الأولى: ألفاظ المجموعة السامية؛ كالعبرية، والسريانية، والحبشية، والنبطية.

والثانية: ألفاظ المجموعة الحامية؛ كالبربرية، والقبطية، والزنجية.

والثالثة: ألفاظ المجموعة الهندوأوروبية؛ كالفارسية، واليونانية، والهندية.

والرابعة: ألفاظ المجموعة الطورانية؛ كالتركية...

أما الدكتور إبراهيم السامرائي[54]، فقد جهّل الأقدمين في معرض دحضه لأقوالهم وتفنيدها، واتهمهم بالخلط وقصور المعرفة باللغات الأُخرى، وأن قولهم بعجمة لفظ من ألفاظ

---

[51] ينظر الجواليقي، **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب، القاهرة، 1361هـ، (مقدمة المحقق)، ص14. والدكتور سميح أبو مُغلي، **في القرآن من كل لسان**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان / الأردن، ط (1)، 1987م، ص89.

[52] يُنظر د. عبد الصبور شاهين، **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1986م، ص310. ود. سميح أبو مغلي، **في القرآن من كل لسان**، ص90.

[53] يُنظر د. عبد الصبور شاهين، **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، ص313-321. ود. حلمي خليل، **المولد في العربية**، ص112-115.

[54] ينظر د. إبراهيم السامرائي، **فقه اللغة المقارن**، دار العلم للملايين، بيروت، ط (2)، 1978م، ص174.

العربية لم يكن مبنيًا على البحث والدرس، أو أن القائلين به على علم بلغات أُخرى غير العربية، وإنما كانت أقوالهم مبنية على الظن والتوهم...

فالأقدمون – كما يقول السامرائي – يرون أن كل كلمة لم يشتهر فيها استعمال جاهلي،هي كلمة دخيلة؛ فهي فارسية عند أحدهم، عبرانية عند آخر، أو سريانية، أو حبشية، ولم يهتدوا إلى أن بين العربية والسريانية والحبشية ولغات أُخرى علاقات تاريخية وقرابات لغوية مردها الأصول السامية الأولى التي دل عليها البحث الحديث، وربما عزوا كلمات دخيلة إلى العربية، وأخضعوها لقوانين الاشتقاق في العربية...

ويستخلص الدكتور محمد عيد من مناقشته لآراء المتقدمين والمتأخرين ما يلي: [55]

1- إن الدارسين المتأخرين قد ارتضوا الرواية التي جاءت عن أبي عبيد القاسم ابن سلاّم، وكأنهم وجدوا فيها لهذه القضية خروجًا من هذا الخلاف...
2- إنه سواء أكانت الألفاظ الواردة في القرآن من لغات أُخرى أعجميةً باعتبار الأصل، عربيةً باعتبار الحال، أم أعجميةً باعتبار الأصل والحال، فإن ورودها في القرآن يدل على أن العرب قد فهموها، وتقبلوها، وفهمهم لها يدل على شيوعها بينهم من قبل أن يأتيهم القرآن بها... وهذا يثبت ما نحن بصدده من وجود الألفاظ المنقولة من لغات أخرى في الجاهلية أو من استمرار ذلك حين جاء الإسلام.
3- يبدو أن الذين رفضوا وجود المعرّب في القرآن قد سيطر عليهم الوازع الديني أكثر من تقرير الواقع اللغوي...
4- إن المرء لا يستطيع أن يجزم بنسبة هذه الألفاظ في القرآن إلى اللغات التي قيل إنها جاءت منها، لأن ذلك يحتاج لمعرفة تلك اللغات، وهو أمر لم يتوافر لمن نُسب إليهم ذلك من الصحابة والتابعين...

[55] ينظر د. محمد عيد، **العوامل الطارئة على اللغة**، " مجلة اللسان العربي "، مجلد 9، جزء (1)، ص28-30.

ثم يخلص إلى القول بوجوب الحذر في تلقي تلك الأقوال مع إقراره بأن هذه الأقوال إنما تدل، بمجرد ورودها، على وقوع ألفاظ معرّبة في الكلام العربي في عصور مبكرة، وقد استخدم القرآن بعض هذه الألفاظ حين نزل لمخاطبة العرب...

وينقل الدكتور صبحي الصالح عن مخطوطة المتوكلي للسيوطي قول الطبري: "في القرآن من كل لسان"[56]، ثم يعلق عليه بالقول:"إن بعض ما ذكره السيوطي قد يفتقر إلى صحة نسبته لإحدى اللغات التي ذكرها، إلا أن للسيوطي في ذلك فضل الجمع والتنسيق والتصنيف وتوجيه الأنظار وجهة جديدة لا ترى في تعريب القرآن للأعجمي خطرًا، بل ترى في ذلك مزية له على الكتب السابقة... " [57]

ويستطرد، موضحًا وشارحًا موقف المنكرين وقوع الأعجمي في القرآن، بأن ذلك إنما يكون حال بقاء الأعجمي على حاله من العجمة، لكنه حين يُنزل على أحكام العربية، ويطبع بميسمها فلا بأس في أن يرى فيه رأي أبي عبيد القاسم بن سلام...[58]

ويجتهد المستشرق " نولدكه " في إيراد ما استطاع الاهتداء إليه من الألفاظ الحبشية التي استعملها القرآن، كما يذكر " برجشتراسر " طائفة أخرى من الألفاظ العربية الدينية التي ترجع إلى أصل حبشي كالحواريين، ومنافق، وفطر، ومنبر، ومحراب، ومصحف، وبرهان...[59]

---

[56] ينظر د. صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط(8)، 1980م، ص316. نقلا عن **مخطوطة المتوكلي للسيوطي**، 1/2.

[57] ينظر د. صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، ص31.

[58] **السابق**، ص317.

[59] ينظر برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، مطبعة السماح، القاهرة، 1929م، ص146. ود. عبد الجليل عبد الرحيم، **لغة القرآن الكريم**، ص184. ود. سميح أبو مغلي، **في القرآن من كل لسان**، ص95.

ولا يجد الدكتور سميح أبو مغلي غضاضة في الاعتراف بوجود ألفاظ معرّبة في القرآن الكريم، بيد أنه يرى أن غالبية هذه الألفاظ المعربة إما أسماء أعلام؛ كفرعون، وإسرائيل، مما لا يستطيع أحد أن ينكر كونها أسماء من لغات غير العربية، وإما أسماء لمسميات اشتهرت في بلاد غير بلاد العرب؛ كالزنجبيل، والكافور، والإستبرق، والقسطاس... مما يحتّم – بحسب رأيه – الإقرار بكونها معرّبة من لغات البلاد التي اشتهرت فيها...[60]

ويلتمس أبو مغلي تعليلاً آخر لورود مثل هذه الألفاظ في القرآن بأنها قد دخلت العربية قبل تنزل القرآن، بحيث اعتادها العرب في ألسنتهم، واستعملوها في أشعارهم حتى صارت بمنزلة ألفاظهم...

ويخلص إلى القول بأن وجود مثل هذه الألفاظ المعرّبة القليلة في القرآن الكريم، لا يشكل خطرًا عليه، ولا يتعارض مع كونه نزل بلسان عربي مبين... [61]

والحق أن العربية خلال تاريخها الطويل، ومنذ انفصالها عن السامية الأم، واستوائها لغة حية مستقلة وناضجة عرفناها في ما وصل إلينا من نصوص الشعر الجاهلي، ونثر الجاهليين، ومن النص القرآني، قد تقلبت بين عوامل كثيرة تطورت فيها ونمت... ولم تكن بمعزل عن اللغات الأُخرى، سواء من الفصيلة السامية الأم، أو من غيرها من الفصائل اللغوية الأُخرى... وهو أمر استدعى – على الأعم الأغلب – تداخل هذه اللغات وامتزاجها، وتأثرها ببعضها البعض حتى ذهب بعض علماء اللغة بناءً على هذه الحقيقة إلى أنه لا توجد لغة غير مختلطة...[62] فلا غرو – إذن – أن يدخل لسان العرب ما ليس في الأصل من لسانهم، وأن ينتقل إلى ألسنة غير العرب ما هو من لسان العرب بفعل عوامل عديدة من الاشتراك والتوافق والاتساع والاقتراض، استدعتها ضرورة التواصل والتداخل والاختلاط والتعارف بين الأجناس بشتى

---

[60] ينظر د. سميح أبو مغلي، **في القرآن من كل لسان**، ص99-100.

[61] **السابق**، ص100.

[62] ينظر ج: قندريس، **اللغة**، تعريب عبد الحميد الدواخلي، والقصاص، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1950م، ص349. ود. عبد الجليل عبد الرحيم، **لغة القرآن الكريم**، ص177.

ألوانهم، وبمختلف لغاتهم وألسنتهم... لكن هذا الداخل قد انطبع بطابع العربية، وامتزج بها، فلم يعد –من ثم– غريبًا عنها، أو عن تصاريفها واشتقاقاتها، بحيث باتت ثابتةً نسبتها، وواضحةً عربيتها... تلك العربية التي تهيأت كل أسباب نضجها وكمالها وسموها لاحتضان لغة التنزيل... الموصوف بأنه تنزل بلسان عربي مبين...

ولكن ماذا عن قريش، ومكانتها من العرب؛ والرسول؟ عربي قرشي؟ إن هذا يدفعنا إلى طرح السؤال بطريقة أخرى: ماذا عن لغة قريش، ومكانتها من لغة العرب؟ ومن ثم، ماذا عن علاقة لغة قريش بلغة القرآن؟ وهذا هو نص التساؤل الثاني الذي يؤسس لعلاقة ما بالنص القرآني... أي قرشية النص القرآني...

- **ثانيًا: "قرشية النص القرآني":**

هل حقًا أن النص القرآني قد تنزل فعلاً بلسان قريش، أو بلغة قريش؟ وما هي لغة قريش؟ هل تختلف عن لغة العرب؟ أم هي واحدة من لغاتهم العديدة؟ وأية واحدة هي إذن؟ تلك هي المسألة...

فالرافعي –رحمه الله– يرى أنه من الطبيعي أن يكون القرآن بلغة قريش، فالرسول$ قرشي، ولغة قريش سيدة اللغات كلها... وقد استمازت قريش من العرب بجوار البيت، وسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، وغيرها من الخصائص التي انفردوا بها عن غيرهم من العرب، والعرب قد ألفوا أمرهم ذلك، واحتملوهم عليه، وأفردوهم به، فلأن يألفوا مثله في كلام الله أولى، وهذه حكمة بالغة في سياسة أولئك الحفاة، وتألفهم، وضم نشرهم، فإن هذا القرآن لو لم يكن بلسان قريش ما اجتمع له العرب البتة، ولو كانت بلاغته مما يميت ويحيي...[63]

ويؤكد طه حسين أن لغة القرآن ولهجته إنما هي لغة قريش ولهجتها...[64] وهو تأكيد يستند – فيما يبدو – على أقوال الأقدمين ومواقفهم بما اتفقت عليه كلمتهم من أن قريشًا هي أفصح

[63] يُنظر مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن الكريم**، مطبعة الاستقامة، مصر، 1965م، ص63.

[64] يُنظر طه حسين، **في الأدب الجاهلي**، دار المعرف، مصر، ط(10)، 1969م، ص94.

القبائل على الإطلاق وأعظمها أثرًا في تهذيب اللغة؛ فبحكم نفوذها السياسي، ومركزها الديني والتجاري، التقت بجميع قبائل العرب، واقتبست منها أوضح ألفاظها وأعذبها في الكلام، وأخفها جريانًا على اللسان، ثم أضافته إلى لغتها، وأجرت بها ألسنتها، حتى غدت على مرّ الزمان أجمع لغى العرب وأفصحها، فكان من الطبيعي – والحال هذه -أن يتنزل القرآن بها...

يقول ابن فارس: " أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم أن قريشًا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله، جل ثناؤه، اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم، واختار منهم نبي الرحمة محمدًا ﷺ فجعل قريشًا جيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أُمورهم، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم، وتحكم بينهم... وكانت على فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها . إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها. فصاروا بذلك أفصح العرب ".[65]

وكلام ابن فارس هذا يكشف جانبًا مهمًا من الأسباب التي من أجلها اختار القرآن لهجة قريش، وهي أسباب تجعل من قريش أفصح العرب، وطبيعي – إذن – أن يتنزل القرآن بلغة أفصحهم، وأن تكون لغته – من ثم – أفصح لغاتهم...

وهي أسباب جعلت رجلاً مثل أبي علي الأهوازي يجزم بأن اللغة التي نزل بها القرآن لم تتعد قريشًا مع بطونها، ودفعت آخر مثل ابن قتيبة ليستنكر بقوة قول القائلين بأن القرآن نزل بغير لغة قريش، محتجًا بقوله تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ]**...[66]

---

[65] يُنظر ابن فارس، **الصاحي في فقه اللغة**، ص52.

[66] إبراهيم:(4). وفي هذا الصدد يُنظر ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1959م، 10/ 402. والسيوطي، **الإتقان**، 47/1.

وابن قتيبة: هو أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – ويقال المروزي – النحوي، اللغوي، كان ثقة فاضلاً، ولد بالكوفة أو ببغداد سنة 213هـ، وتولى قضاء " الدينور " مدة من الزمن، فنسب إليها، ثم

وقد أخرج أبو داوود من طريق كعب الأنصاري أن عمر – رضي الله عنه – كتب إلى ابن مسعود – رضي الله عنه – أن الله أنزل القرآن عربيًا، وأنزله بلسان قريش ولغتهم، فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل...[67]

وقريب من هذا ما روي عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أنه أوصى القرشيين الثلاثة؛ سعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، حين كلفهم بنسخ القرآن في المصاحف مع زيد بن ثابت – رضي الله عنهم أجمعين – أنْ إذا اختلفوا مع زيد بن ثابت في شيء من القرآن أن يكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم...[68]

وفسّر ابن عباس قوله تعالى: [**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**] [69] بأنه لسان قريش، ولو كان غير عربي ما فهموه...[70]

اشتغل بالتدريس في بغداد، ويُعَدُّ إمام مدرسة بغداد النحوية، وله تصانيف عديدة ومتنوعة، واختلف في سنة وفاته؛ فقيل سنة 270هـ، أو سنة 271هـ، وقيل سنة 276هـ، ويرجح ابن خلكان الأخيرة، ويروي أنه مات فجأة بعد أن صاح صيحة سمعت من بعد ثم أغمي عليه ومات. تنظر ترجمته في ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 42/3 –44، ورقم الترجمة (328). وما كتبه محمد محي الدين عبد الحميد محقق كتابه " **أدب الكاتب** " بلا طبعة ولا تاريخ. ص6-9.

[67] يُنظر ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 383/1. والزمخشري 538هـ، **الكشاف**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1946م، 460/3، 468. والسيوطي، **الإتقان**، مطبعة المشهد الحسني، ط(2)، 1951م، 47/1.

[68] يُنظر ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 394/10. والرازي؛ أبو حاتم، أحمد بن حمدان المتوفى سنة 322هـ، **الزينة في الكلمات الإسلامية**، مطابع دار الكتاب المصري، ط(2)، 1957م، 141/1.

[69] الشعراء: (195).

[70] يُنظر أبو عبيد؛ القاسم بن سلاّم المتوفى سنة 224هـ، **ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل**، مطبوع بهامش " **تفسير الجلالين** " مطبعة عيسى الحلبي، ص124.

وينقل السيوطي [71] عن أبي بكر الواسطي أنه كان يقول بأن القرآن كله بلغة قريش، ليس فيه حرف غريب منها غير ثلاثة أحرف، وهي قوله: [**فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ**][72]، و[**مُقِيتًا**][73]، و [**فَشَرِّدْ بِهِمْ**] [74]...

ويروى عن قتادة قوله: " كانت قريش تجتبي أفضل لغات العرب حتى صارت لغتها أفضل لغاتهم، فنزل القرآن بها، وتحدّى العرب وفصحائهم أن يأتوا بمثله تحديًا يدل على عظيم منزلة البلاغة عندهم "... [75]

ويذكر أبو عبيد في كتابه " فضائل القرآن " أن ابن عباس كان يقول بأن القرآن قد نزل بلغة الكعبين؛ كعب قريش، وكعب خزاعة... وأنه لما قيل له: كيف ذاك؟ أجاب متعللاً بأن الدار واحدة... وفسره أبو عبيد بأن ابن عباس إنما كان يعني أن خزاعة قد جاورت قريشًا في مكة، فتأثرت بهم، وأخذت بلغتهم... [76]

---

[71] يُنظر السيوطي 911هـ، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، 206/1.

[72] الإسراء: (51).

[73] النساء: (85).

[74] الأنفال: (57).

[75] يُنظر أحمد رضا العاملي، **معجم متن اللغة**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م، 43/1. وفي هذا المجال يمكن العودة إلى كل من: * السيوطي، المزهر، 211/1. * والرافعي، **تاريخ آداب العرب**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط(3)، 1953م، 93/1-94. * وعبد الحميد المسلوت، ومحمد عبد المنعم خفاجة، وحسن جاد، **الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام**، المطبعة المنيرية بالأزهر، القاهرة، ص61-62، * وإبراهيم محمد نجا، **اللهجات العربية**، مطبعة السعادة، مصر، ص66-68. **وقتادة:** هو أبو الخطّاب، قَتادة بن دِعامة بن عُزيز بن سدوس، السدوسي المصري الأكمه، مفسر وحافظ، وعالم كبير في العربية، ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، ومن التابعين الكبار، ولد سنة 60هـ، وتوفي سنة 117هـ أو 118هـ بـ"واسط" في الطاعون. تنظر ترجمته في ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4/ 85-86، ورقم الترجمة (541). والزركلي، **الأعلام**، 189/5.

[76] يُنظر ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 402/1. والسيوطي، **معترك الأقران**، 283/1.

ورواية أبي عبيد هذه عن ابن عباس، لا تتعارض مع ما تقدم من تفسير ابن عباس للسان العربي المبين بأنه لسان قريش، وإنما توضحه وتؤكده... مما يدفع إلى الاعتقاد بأن اللسان العربي المبين الوارد في وصف القرآن الكريم للغته الكريمة، إنما هو لسان قريش الذي وضحته الأحاديث والآثار... وبوضع الآيات القرآنية التي تحدثت عن عربية القرآن، وأنه بلسان عربي مبين، إزاء الأحاديث والآثار التي تحدثت عن قرشية هذا اللسان، يمكن التوصل إلى النتيجة التقابلية التي مفادها أن اللسان العربي المبين ليس سوى لسان قريش... وما ورد عن الرسول ﷺ في معرض حديثه عن فصاحته، ونفي اللحن عن نفسه، يدل دلالة قاطعة على تفرد قريش بالفصاحة، وعلو كعبها في البلاغة... يقول ﷺ :" أنا أعرب العرب ولدتني أمي في قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر، فأنى يأتيني اللحن "... ويقول أيضًا: " أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش "... [77]

فالقرشية وصف آخر للقرآن الكريم، تتضافر مع وصفه بالعربي، لتعطي مدلولاً أكثر أصالة وإنتماءً، وعرقًا أكثر عراقة وعمقًا وصفاءً ونقاءً... وكما أن دخول بعض الكلمات المعرّبة إلى القرآن الكريم، لا ينفي عربيته، أو يضيره في شيء، فكذلك دخول بعض اللهجات العربية إليه، لا ينفي قرشيته، أو يؤثر عليه في شيء...

وإذا كان النص القرآني يصف نفسه بأنه (لسان عربي مبين) كما تقدم، والأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب تصفه بأنه (لسان قريش) كما تقدم أيضًا، فهل ثمة دلالة، أو علاقة يمكن أن تفهم من مثل هذا التقاطع والاشتراك؟

---

[77] ينظر ابن سنان الخفاجي؛ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان المتوفى سنة 466هـ، **سرّ الفصاحة**، تحقيق الصعيدي، مطبعة صبيح، ص60. والقاضي عياض؛ أبو الفضل عياض بن موسى ابن عياض السبتي المتوفى سنة 544هـ، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، نشر وطبع مكتبة المشهد الحسيني، 47/1. والشهاب الخفاجي؛ أحمد بن محمد المصري المتوفى سنة 1069هـ، **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**، المطبعة العثمانية، 1312هـ، 529/1.

أجل... سيادة لغة قريش ولسانهم... هذه اللغة التي أضحت – من ثم – لغة مشتركة لكل القبائل العربية وعشائرهم ينظمون بها أشعارهم، ويخلدون بها ذكرهم ومآثرهم... والقرآن الكريم هو ذكر لهم، بصريح نص القرآن نفسه:

1- **[وإنه لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ]**... [78]
2- **[لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]**...[79]
3- **[بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ]**...[80]

أفلا يكون من باب التوافق الرائع – إذن – أن يتنزل القرآن بمثل هذه اللغة الشاعرية المشتركة، والتي ارتضوها لتخليد ذكرهم، وذكرياتهم، وتدوين مآثرهم، وأمجادهم...؟

[78] الزُّخرف: (44).

[79] الأنبياء: (10).

[80] المؤمنون: (71).

ببليوغرافيا:

- ابن حجر العسقلاني. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**. مصر: مطبعة البابي الحلبي، 1959.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي. **تهذيب التهذيب**. حيدر أباد الدكن، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، بيروت: دار صادر، 1326هـ.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: عباس، إحسان. بيروت: دار صادر، 1970.
- ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد. **سر الفصاحة**، تحقيق: الصعيدي. د.م: مطبعة صبيح، د. ت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي. **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**. تحقيق: الطباع، عمر فاروق، بيروت: مكتبة المعارف، 1993.
- أبو عبيد، القاسم بن سلاّم. **ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل**. مطبوع بهامش "**تفسير الجلالين** " مصر: مطبعة عيسى الحلبي، د.ت.
- أبو مغلي، سميح. **في القرآن من كل لسان**. عمان/ الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1987.
- برجشتراسر. **التطور النحوي للغة العربية**. القاهرة: مطبعة السماح، 1929.
- الثعالبي، الإمام أبو منصور، عبد الملك بن محمد النيسابوري. **كتاب فقه اللغة وسر العربية**. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن الحسن. **المعرّب في كلام العرب**. تحقيق: عزام، عبد الوهاب. القاهرة: دار الكتب، 1969.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: عطار، أحمد عبد الغفور. ط.3. بيروت: دار العلم للملايين، 1984.
- حسين، طه. **في الأدب الجاهلي**. ط.10. مصر: دار المعارف، 1969.

- خليل، حلمي. **المولّد في العربية**. ط.2. بيروت: دار النهضة العربية، 1985.
- الذهبي، محمد حسين. **التفسير والمفسرون**. ط.2. مصر: دار الكتب الحديثة، 1976.
- الرازي، أبو حاتم، أحمد بن حمدان الليثي. **الزينة في الكلمات الإسلامية**. ط.2. القاهرة: مطابع دار الكتاب المصري، 1957.
- الرافعي، مصطفى صادق. **إعجاز القرآن الكريم**. مصر: مطبعة الاستقامة، 1965.
- الرافعي، مصطفى صادق. **تاريخ آداب العرب**. ط.3. القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1953.
- الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. ط.10. بيروت: دار العلم للملايين، 1992.
- الزمخشري، جار الله محمود. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1946.
- السامرائي، إبراهيم. **فقه اللغة المقارن**. ط2. بيروت: دار العلم للملايين، 1978.
- السيوطي. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. تحقيق: جاد المولى، محمد أحمد؛ البجاوي، علي محمد وإبراهيم، محمد أبو الفضل. بيروت: دار الفكر، ودار الجيل، د. ت.
- السيوطي. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**. القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق: سعد، طه عبد الرؤوف. القاهرة: المكتبة التوفيقية، د. ت.
- الشافعي، محمد بن إدريس. **الرسالة**. تحقيق: شاكر، أحمد محمد، د. ت.
- شاهين، عبد الصبور. **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**. القاهرة: دار الكاتب العربي، 1986.
- الشهاب الخفاجي. **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**. د.م: المطبعة العثمانية، 1312هـ.
- الصالح، صبحي. **دراسات في فقه اللغة**. ط.8. بيروت: دار العلم للملايين، 1980.
- الطبري، ابن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المشهور بتفسير الطبري)** تحقيق: شاكر، محمود محمد. القاهرة: دار المعارف، 1374هـ؛ ط.3.بيروت: دار الكتب العلمية، 1999.

- العاملي، أحمد رضا. **معجم متن اللغة العربية**. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1958.
- عبد الرحيم، عبد الجليل. **لغة القرآن الكريم**. عمان/ الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة، 1981.
- عيد، محمد. "العوامل الطارئة على اللغة" مجلة **اللسان العربي** مجلد9، جزء1.
- فندريس. **اللغة**. ترجمة: الدواخلي، عبد الحميد والقصاص. القاهرة: لجنة البيان العربي، 1955.
- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى السبتي. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**. د.م: مكتبة المشهد الحسيني، د.ت.
- المسلوت، عبد الحميد؛ خفاجة، محمد عبد المنعم وجاد، حسن. **الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام**، القاهرة: المطبعة المنيرية بالأزهر، د.ت.
- نجا، إبراهيم محمد. **اللهجات العربية**. مصر: مطبعة السعادة، د. ت.